

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الثالثة - العدد التاسع - ربيع ١٣٩٢ش / آذار ٢٠١٣م

ص ٢٥ - ٩

## دراسة علم أسلوب النثر التفسيري والعرفاني في رسالة "شرح رباعيات جامي في وحدة الوجود"

أصغر دادبه\*

غلامرضا داوودي بور\*\*

### الملخص

استخدمت النصوص العرفانية الفارسية المنشورة، أبسط الأدوات في اللغة والبيان لنقل المفاهيم العميقة والصعبة. واعتبر هذا اللون من النثر من أكثر النصوص استحسانا في جميع العصور. والمعروف عن النصوص المنشورة لجامي في جميع أصناف الآثار التفسيرية والتعليمية والعرفانية أنها تمتاز بمنتهى الرقة والحذاقة إلى جانب ما تحظى به النصوص القديمة من أدوات بيان تجعلها رصينة لغويا؛ وبطبيعة الحال، تتحلل نصوص رسالة شرح الرباعيات في وحدة الوجود بجميع الميزات المذكورة. وتناولت هذه المقالة رسالة شرح الرباعيات في وحدة الوجود بالبحث والتعريف بعد تسليط الضوء على حياة جامي وآثاره. وهناك إشارة وجيزة إلى أسلوب النثر في عصر جامي. ثم تناول المقال بالبحث والتفصيل أبرز سمات أسلوب النثر المتوارد في الرسالة، من بينها الإيجاز، ونماذج من الأساليب القديمة، وحذف الأفعال بالقرينة، واستعمال "تبت" المصدرية، وموضوع طرح الألفاظ المترادفة، وتطبيق الصفة مع الموصوف والاستناد بالآيات القرآنية. وفي النهاية تأتي النتيجة لتكون ختاما للبحث. الكلمات الدلالية: أسلوب النثر، النثر التفسيري العرفاني، الإيجاز، حذف الأفعال بالقرينة، تطبيق الصفة مع الموصوف، رسالة في شرح الرباعيات.

\*. أستاذ بجامعة العلامة الطباطبائي وأستاذ محاضر بجامعة آزاد الإسلامية في نجف آباد، إيران.

\*\* عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فرع علوم وتحقيقات، طهران، إيران.

Qolamreza.davoudi@yahoo.com

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. فاطمة پرچگانی

تاريخ القبول: ١٣٩٢/٣/٢٥ش

تاريخ الوصول: ١٣٩٢/٣/٥ش

www.SID.ir

## المقدمة

ولد مولانا نور الدين (عماد الدين) أبو البركات عبد الرحمن بن نظام الدين أحمد بن شمس الدين محمد جامي في ٢٣ من شعبان سنة ٨١٧ هـ في ضاحية جام في قرية خرجرد القريبة من هرات. يعتقد عبد الغفور لاري أنّ «لقب جامي الأصلي هو عماد الدين ولقبه المعروف نور الدين». (مايل هروي، ١٣٧٧ش: ٣١؛ دادبه، ١٣٨٨ش)

وقد أشار جامي في قصيدته اللامية تحت عنوان "رشح البال في شرح الحال" التي نظمها قبل خمس سنوات من وفاته (٨٩٣ هـ)، إلى بعض أحداث حياته من جملتها تاريخ ولادته:

به سال هشتصد و هفده زهجرت نبوى كته زد ز مكه به يثرب سرادقات جلال  
زواج قله پروازگاه عز قدم بدین حضيض هوان، سست کرده ام پروبال  
(جامي، ١٣٨٩ش: ٧٧)

\_ في سنة ٨١٧ من الهجرة النبوية، عندما خيّم سرادقات الجلال من مكة إلى يثرب

\_ خففت أجنحتي لأهبط من قمة مكان التحليق إلى هذا المكان الحضيض  
كان نظام الدين أحمد، والد عبد الرحمن جامي من مشاهير رجال العلم والتقوي في زمانه وهو من حيّ في أصفهان. غادر إلى خراسان أثناء هجوم الأتراك وعاش في خردجرد.

ويبدو من الأبيات التي نظمها جامي أنّه تلقى العلوم الأولى كالقرآن والحديث وسائر العلوم علي يد والده في خردجرد ومضمونها:

\_ في ذلك العهد الذي لم تصل قوة الإدراك عندي لكي أميّز بين الحق والباطل.  
\_ قدر لي أن أترّبّي في أحضان أم حنون وأكون في رعاية أب مشفق صاحب خصال حميدة.

\_ وأودعني الزمن إلى معلّم تحلّي طبعي من عقله بأرقي العقال.

\_ وملاً روحى في أرض المواهب ببذور العلم وفضل الكمال.

\_ بدء بباء بسم الله وحتى ختم سين الناس تلقّيت العلوم.

- \_ وتعلّمت قواعد الإعراب من النحويين وسمعت ضوابط الإعلال من الصرفيين.
- \_ ولفهم الرياضيات وضعت بدائع الأشكال في صورة المعنى.
- \_ ومن علم الفقه وأصوله علمت حكم ما هو حلال وما هو حرام.
- \_ وعندما جاهدت في سرائر القرآن رأيت بأنه غير جائز إهماله.
- \_ وتبيّن لي من رواة الحديث، سنّة النبي وطريقة الصحابة وسيرة آل البيت.

(جامى، نفس المصدر: ٧٧-٧٨)

ثمّ انتقل جامى إلى المراكز العلميّة المعروفة في تلك الفترة، منها هرات وسمرقند حاضرتي العلم والأدب والفنّ في عصره وتلقّي العلوم الأدبيّة والكلاميّة في محضر الأستاذ شهاب الدين محمد جاجرمي وخواجه على السمرقندي ومن ثمّ غادر إلى سمرقند وقام بالبحث والحوار مع أستاذه قاضي زاده الرومي خلال تلقّيه علم الهيئة. كما انتقد آراء أستاذه وقام بإصلاح بعضها. (صفي، ١٣٥٦ش: ج ١: ٢٣٧-٢٣٨) وللإطلاع على المزيد من رحلات جامى يمكن الرجوع إلى مقالة للدكتور أصغر دادبه في دائرة المعارف الإسلاميّة، موضوعها جامى.

إنّ من أهمّ الأسباب التي أدّت إلى انخراط جامى في سلك التصدّوف وانضمامه إلى الطريقة النقشبندیّة، الرؤية التي رآها جامى في منامه، حيث رأى جامى سعد الدين الكاشغرى وهو أحد مشايخ التصدّوف آنذاك، في منامه وأصبح أحد مريديه فيما بعد. وبعد وفاة الأخير تقربّ جامى إلى خواجه عبيد الله الأحرار وأصبح أحد مريديه لفترة طويلة. وقد انعكست سلوك وأفكار محبي الدين بن عربى المؤثرة في شخصيّة عبيد الله الأحرار في آثار جامى. (أفصح زاد، ١٣٧٨ش: ١٣٢)

توفّي جامى في ١٧ من محرّم سنة ٨٩٨ق إثر مرض ألمّ به دام أربعة أيام. وقد شارك في تشييع جثمانه السلطان حسين بايقرا وأمير على نوائى وعدد غفير من العلماء وسائر أطباف المجتمع. وقد دفن جامى في هرات بالقرب من مرقد الشيخ سعد الدين الكاشغرى. (نظامى باخرزى، ١٣٧١ش: ٢٥٥؛ ميل هروى، ١٣٧٧ش: ١٦)

كان «جامى من أتباع المذهب السنّى والمذهب الحنفى بالتحديد، ويمكن أن يكون هذا أحد أسباب ميله إلى الطريقة النقشبندیّة.» (صفا، ١٣٦٨ش، ج ٤: ٣٥٤)

يعتقد بعض المحققين أنّ «جامي كان كثير التعصّب بالمذهب الذي ينتمي إليه ولم يكن من أهل التساهل والرفقة مع أتباع سائر المذاهب لاسيّما الشيعة وربما هذا الأمر أثار سخط أهالي بغداد والحلّة وهرات علي جامي وفتح لهم باب الانتقاد ضده.» (نظامي باخرزي، ١٣٧١ش: ١٣)

### نتائج جامي

بما أنّ جامي ترك آثارا متعدّدة لما كان يتمتع به من علوم جمّة ومطالعات موسّعة، فيمكن تصنيف تلك الآثار في ثلاثة أجزاء وهي العلوم الأدبيّة والعلوم النقليّة والعلوم العقليّة.

### الآثار الأدبية

- \_ بهارستان (موطن الربيع) وهو كتاب منثور يضمّ مجموعة من الأشعار وهو محاكاة بارعة قلّد فيها الشاعر سعدي في كتابة كلستان (بستان الورود).
- \_ المنشآت وهو يشمل رسائل كتبها جامي لشخصيات مختلفة عاصرها.
- \_ هفت أورنك (العروش السبعة)؛ يشمل سلسلة الذهب، سلامان وأبسال، تحفة الأحرار، سبحة الأبرار، يوسف وزليخا، ليلي ومجنون وخرنامة إسكندري.
- يذكر أنّ مضامين هفت أورنك التي جاءت علي نسق المثنوي، أخلاقيّة وعرفانيّة وغزليّة. كما أنّ تأثير نظامي كنجوي وأمير خسرو دهلوي واضح وجلّي فيها لكلّ متلقّ وأديب؛ وجامي نفسه يعترف بهذا التأثير:
- \_ إنّ المثنويّات القديمة بقيت ذكري تخلّد الراحلين.
- \_ ونظامي الذي هو أستاذ هذا الفنّ، يبدو كالشمعة الواقعة في هذا الحفل.
- \_ ظهر من أنقاض كنجو وأصبح كاشفا للكنز حيث أوصل كنوز الفنّ إلى خمسة.

(جامي، هفت اورنك، ١٣٨٩ش: ٩٢٧-٩٢٨)

يشمل ديوان جامي قصائد في الغزل والرثاء ومقطوعات علي نسق الرباعي والمثنوي والأسلوب المسمّي بـ"ترجيع بند". قسّمه إلى ثلاثة أقسام بإشارة من أمير علي شير

نوائى ودعاها: فاتحة الشباب، واسطة العقد وخاتمة الحياة. «يشمل الجزء الأوّل أشعاراً نظمها جامى في فترة شبابه، والجزء الثانى يشمل أشعاره التى نظمها فى أواسط حياته، والجزء الأخير نظمها فى نهايات عمره.» (حكمت، ١٣٨٦ش: ٢٠٩)

## العلوم النقليّة

### الف) العلوم اللغويّة والبلاغيّة

- \_ تجنيس اللغات وهى منظومة فى باب اللغات العربيّة يمكن تصحيّفها بسهولة.
- \_ الصرف الفارسى المنظوم والمنثور وهو يبيحث قواعد الصرف العربى باللّغة الفارسيّة.
- \_ الفوائد الضيائية فى شرح الكافية (شرح جامى) فى النحو العربى.
- \_ رسالة فى العروض.
- \_ رسالة فى القافية.
- \_ رسالة كبيرة فى الألغاز (حلية الحلل) وهو ملخّص عن كتاب الحلل المطرزة فى الألغاز والأحجيات.
- \_ رسالة متوسّطة فى الألغاز.
- \_ رسالة صغيرة فى الألغاز.
- \_ رسالة المنظومة الصغرى فى الألغاز.

### ب) العلوم القرآنيّة وعلم الحديث والسيرة والمناقب

- \_ تفسير لبعض سور القرآن الكريم منها البقرة حتى الآية ﴿وَيَأَيُّ فَارِهِبُونَ﴾ (البقرة: ٣٨)
- \_ الأربعون حديثاً، ترجمة الأربعين حديثاً. وترجمت هذه الأحاديث ضمن رباعيّات فارسيّة.
- \_ شواهد النبوّة فى بيان السيرة النبوّة وشرح أحوال التابعين وحتى الصدر الأوّل للمتصوّفين.
- \_ نفحات الأنس فى ترجمة حياة ٦٠٦ صوفيّاً من كبار الصوفيّين فى صدر الإسلام.
- \_ مناقب خواجه عبد الله الأنصارى.

- \_ مناقب مولوى التى لم يبق منهاى أثر.
- \_ اعتقاد نامة فى العقائد وهو مثنوى قصير بنزعة صوفية فى بيان الأصول الإسلامية.
- \_ رسالة مناسك الحج فى بيان ركائز الحج.
- \_ رسالة سلوك الصوفيين.
- \_ رسالة لا إله إلا الله "رسالة تهليلية".

### العلوم العقلية

- \_ رسالة فى الموسيقى وهى رسالة فنية تقوم بشرح الأدوات الموسيقية والألحان والأنغام الموسيقية.
- \_ أشعة اللمعات فى شرح لمعات فخر الدين العراقى.
- \_ شرح بيت لخنسرو دهلوى:
- ز درىای شهادت چون نهنگ "لا" بر آرد سر تيمم فرض گردد نوح را در وقت طوفانش
- \_ من بحر الشهادة، عندما يهتف الحوت بـ "لا" وجب التيمم لنوح فى وقت العاصفة.
- \_ شرح حديث لأبى رزين العقيلي (شرح أحاديث العلماء).
- \_ شرح رباعيات فى وحدة الوجود وهو موضوع هذا البحث وسنتناوله بالتفصيل لاحقاً.
- \_ شرح بعض أبيات القصيدة النائية لابن الفارض.
- \_ شرح فصوص الحكم باللغة العربية.
- \_ شرح مقاطع من مفاتيح الغيب بالنظم والنثر.
- \_ شرح بيتين من قصيدة الناي نامة أو الرسالة النائية.
- \_ اللوايح وهى رسالة مبدعة وفيها عدة مواضع من المواضيع الرئيسية لمذهب ابن عربى وجاءت نصوصها بالنثر الفارسى المرسل.
- \_ اللوامع فى شرح القصيدة الميمية المعروفة بالخرميرة.
- \_ رسالة فى الوجود (الوجودية) باللغة العربية.
- \_ حديث خواجه بارسا (الحاشية القدسية) باللغتين الفارسية والعربية.
- \_ رسالة جواب لسؤال من الهند (رسالة سؤال وجواب من الهند) وهذه الرسالة

غير موجودة حاليًا.

\_ رسالة منظومة لم يعثر عليها.

\_ نقد النصوص في شرح الفصوص باللغتين العربيّة والفارسيّة.

\_ رسالة في دراسة مذهب رجال التصوّف والمتكلّمين والحكماء "الدرّة الفاخرة"

باللغة العربيّة

(حكمت، ١٣٨٦ش: ١٦٦-٢١٣؛ دادبه، ١٣٨٨ش؛ جامي، ١٣٨١ش: ١٦-٢٨)

استخدمت النصوص العرفانيّة الفارسيّة المنشورة، أبسط الأدوات في اللغة والبيان لنقل المفاهيم الباطنيّة والصعبة. واعتُبر هذا اللون من النثر من أكثر النصوص استحسانا في جميع العصور. والمعروف عن النصوص المنشورة لجامي في جميع أصناف الآثار التفسيرية والتعليمية والعرفانيّة أنّها تمتاز بمنتهى الرقّة والحذاقة إلى جانب ما تحظى به النصوص القديمة من أدوات بيان تجعلها رصينة لغويًا، كما أنّ نصوص رسالة شرح الرباعيّات في وحدة الوجود تتحلّي بدورها بجميع الميزات المذكورة.

رسالة في شرح رباعيّات جامي في وحدة الوجود

أخذت كتابة الشروح والهوامش علي الآثار المختلفة باللغة الفارسيّة آفاقا واسعة في جميع المجالات العلميّة والأدبيّة لما شهدته الثقافة من تطوير وتعميم في القرنين التاسع والعاشر الهجريّين. وقد أدّت هجمات المغول والأتراك خلال ثلاثة قرون متوالية، إلى هدم عدد كبير من المدن وإلحاق الدمار بمراكز العلم والعرفان وتشريد العلماء وتفرّقهم في البلاد. ولم يتمتّع علماء العصر الحديث بظروف مساعدة لإبداء الآراء والتحلّي بروح الإبداع كما كان يتمتّع به العلماء في العهود السابقة، ومن جانب آخر فإنّ نشئت الحاصل في المراكز العلميّة أدّى إلى انحسار دائرة المخاطبين بشكل ملحوظ ومن هذا المنطلق، قام العلماء بتلخيص وكتابة شروح وتعليقات علي آراء وأفكار المتقدمين من العلماء والمشاهير ونظموا أشعارا لتلك الآثار. تشهد الكتب التاريخيّة وكتابات السير والتراجم بهذا الواقع، مشيرة إلى انتشار هذا الأسلوب من الكتابة في جميع المراكز العلميّة والتعليميّة المختلفة.

حاول جامي أحد أبرز الشخصيات العرفانيّة في الأدب العرفاني، أن يقوم بشرح

المعاني العرفانية الغامضة والعميقة من خلال تأليفاته الواسعة التي أشرنا إليها آنفا. تعتبر رباعيات جامي التي بلغت ستة وأربعين، من أهم تأليفاته ويعدّها البعض سبّاقة في شرح المضامين العرفانية. وقد توصل جامي فيما بعد إلى أنّ الوزن والقوافي ضيّقت عليه الميدان لشرح وتبيين بعض المضامين والمفاهيم، فرأى من الضرورة، القيام بكتابة شرح وتعليق علي رباعيّاته لكي يفى بالغرض المطلوب. وحسب قوله: يشرح الإجمال بالتفصيل. وبالاعتباس من أقوال مشايخ الصوفيّة وتأليفاتهم، قام بشرح المضامين الصعبة في هذه المباحث الأصوليّة من التعاليم العرفانية: «قبل إعداد هذا الكتاب المشهور بالمضامين وإظهار صفحاته الجليّة بالمفاهيم، تمّ نظم رباعيّات في إثبات وحدة الوجود وبيان تنزيله في مراتب الشهود مع التنبيه علي كفيّة إدراكه علي سبيل الكشف والعرفان والوصول إليه بطريق الذوق والوجدان، ولكن بما أنّ ساحة العبارات بدت ضيقة خلال الترجمة مراعاة للقافية وأسلوب البيان أصيب بشلل في التعبير حفاظا علي الوزن، فقد فقدت المعاني جمالها لتسترها خلف نقاب الإجمال ولم تظهر الحقائق خلف حجاب التنوع المعيب، فلا بدّ من تسطير كلام منشور وكتابة شرح مفهوم علي هامش الرباعيّات لتفصيل الجملات وتبيين المشكلات يضمن اقتباسات من أقوال مشاهير الدين والعرفان من أهل اليقين والإيمان.» (جامي، شرح رباعيات، ١٣٩١ش: ب)

وتابع جامي في هذه الرسالة أسلوبا معتدلاً متمثلاً في كتابة النثر المرسل، مبنية علي رؤية محيي الدين بن عربي في إثبات الوجود وبيان تنزيله في مراتب الشهود محاولة منه لتبيين المفاهيم لأنّه قصد فيها التعليم والتوجيه علي وجه الخصوص.

### أسلوب كتابة النثر في عهد جامي

يعتقد غالبية المحقّقين أنّ هذه الفترة شهدت ضعفا في كتابة النثر واضطرابا في أسلوبه مقارنة بالفترات السابقة. ومن أهمّ سمات أسلوب النثر في هذه الفترة، تطبيق الصفة مع الموصوف وفق القواعد العربيّة واستخدام المفردات والتعابير العربيّة وتحويل الألفاظ الفارسيّة إلى الألفاظ التركيّة. والموضوع الآخر هو استخدام الألقاب والعناوين والإطناب في الحديث عن الممدوح الذي كان يأتي في مقدّمة الفصول والتي تحوّل في عهد المغول إلى الإيجاز، نجد بأن هذا أسلوب رجع إلى سابق العهد في كتابة النثر لدي

الكتاب والناثرين وأعطى الإيجاز دوره إلى الإطناب مجدداً. وقلّ استخدام الألفاظ العربيّة والشعر والاستدلال والتمثيل في هذا العصر مقارنة بالسابق. وأصبحت الكتابة تميل إلى الضعف والركاكة وقلّت فيها الدقّة في المواضيع الصرفيّة والنحويّة وأعطت مكانها إلى الفوضى في التعبير والأخطاء في الكتابة. (بهار، ١٣٦٩ش، ج ٣: ٢٠٨-٢١٠؛ شمس، ١٣٧٦ش: ٢٠٧-٢٠٨)

### أسلوب النثر في رسالة شرح رباعيّات جامي

رغم كلّ ما أشير إليه، «فإنّ الأسلوب الذي انتهجه جامي في كتابة النثر في آثاره المختلفة من بينها شرح الرباعيّات، كان بسيطاً وسلساً رغم تأثيره بالأجواء السائدة علي الكتابة في هذه الفترة. وبما أنّ الكاتب عالم جامع لعلوم شتّى، امتاز نثره بالرصانة والثراء من حيث المضمون والمعنى. وهو كاتب استطاع متابعة أسلوب القدامى في عهد شهد الشعر والأدب الفارسي فيه انحطاطاً ملموساً. وسجّل جامي آثاراً امتازت بكتابة نثر سلس يخلو من الأخطاء الشائعة آنذاك مقترنة بمعلومات واسعة تعكس في طيّاتها تراث الحضارة الإسلاميّة الإيرانيّة. وقد وصل في بعض الأحيان إلى مرتبة الناثرين القدامى. وفي جميع الحالات وحتّى في بعض المواطن التي أراد احتذاء الكتابات النثرية الفارسيّة المتصنّعة، حاول الالتزام بالنثر السلس والابتعاد عن التكلّف والتصنّع في الكتابة.» (صفا، ١٣٤٨ش، ج ٦: ٦٥)

### الإيجاز

رغم أنّ غالبيّة الكتاب في هذه الفترة كانوا أشدّ ميلاً ورغبة في استخدام نمط الإطناب المملّ وتطويل الكلام المخلّ، إلّا أنّ العبارات النثرية في آثار جامي جاءت قصيرة ومتناسبة ومنتظمة وخالية من العيوب المزدولة الناتجة عن الإطناب. وجميع ما جاء في هذه الرسالة من البداية وحتّى النهاية يؤيد هذا المعنى:

«... إذا ما أضىء جرم القمر أمام الشمس بالشعاع، وفي هذه المرتبة يكون هناك ثلاثة عناصر: الأول القمر، الثاني الشعاع، والثالث الشمس وهو العنصر المفيد للشعاع.» (جامي، ١٣٩١ش: شرح الرباعيّ ٤)

«والفرقة الثانية من الصوفيّة المعتقدين بوحدة الوجود يقولون: إنّ وراء طور العقل طور آخر، ينكشف فيه الطور عن طريق المكاشفة ومشاهدة عدّة أشياء يعجز العقل عن إدراكها». (نفس المصدر: شرح الرباعي ٦)

«إذن عليك مشاهدة الربّ - سبحانه - مشاهدة جليّة أكثر من غيره ولا تقل لا أري وإذا كنت تعرف وترى غير ذلك سيكون مثلك كمن يقول وهو في الروضة: إنّني أري الورق ولا أري الروضة ما يكون مثيراً للضحك». (نفس المصدر: شرح الرباعي ٨)

«إنّ مجموع هذه المراتب أصبحت خمس مراتب والمرتبة السادسة هي مرتبة جامعة وجميع تلك المراتب إلى جانب هذه المرتبة تشكّل الإنسان الكامل؛ لأنّه جامع الجميع وذلك بحكم البرزخيّة التي يتمتّع به». (نفس المصدر: شرح الرباعي ١٤)

«الإيجاد عبارة عن استتار وجود الحقّ - سبحانه - بصورة الأعيان الثابتة وماهيّاته وانصباغها بأحكامه وآثاره». (نفس المصدر: شرح الرباعي ٢٢)

«ومن العبارات والمصطلحات المستخدمة عند سلاله النقشبندية قدس الله أرواحهم : ذكر، رجع، حفظ، استذكر، وذكر عبارة عن الذكر اللساني والذكر القلبي....» (نفس المصدر: شرح الرباعي ٤٦)

رغم أنّ «الكتابة النثرية في هذه الفترة لم تتمتّع بسمات النماذج النثرية القديمة وتفتقد لتلك الجماليّة والانتظام والتماسك والقوّة إلا أنّ هناك نماذج من أساليب النثر القديم يمكن مشاهدتها في آثار جامي معرفته بألوان النثر الفارسيّ القديم. من بينها استخدام تعبير "مر... را" وهو وجه من وجوه الكتابات القديمة في النثر.» (نفس المصدر: شرح الرباعي ١٣)

«چنانکه مرتبه حس وشهادت مثلاً مرتبه ای است کلی، شامل مر جميع محسوسات جزويه متعينه را ....» (نفس المصدر: شرح الرباعي ١٣)

إذا كانت مرتبة الحسّ والشهادة مرتبة كليّة تشمل جميع المحسوسات الجزئيّة المتعينة....

«.... واين مرتبه وجود است مر اشياى كونه مركبه لطيفه را....» (نفس المصدر: شرح الرباعي ١٤)

وهذه مرتبة الوجود للأشياء الكونيّة المركبة اللطيفة....

«بلکه او عين قابليت ذات است، مر بطون و ظهور و ازليست و ابدیت و انتفاى

اعتبارات وإثبات أن را و مر اين وحدت را دو اعتبار است.» (نفس المصدر: شرح الرباعي ٢١)

و لكنّه عين الجوهر كالباطن والمظاهر والأزليّة والأبدية وإبعاد الاعتبارات وإثباتها وهذه الوحدة اعتباران.

«زيرا كه همه صور عمليه اند كه تحقق و ثبوت نيست مر ايشان را در غير ذات عالم بدیشان.» (نفس المصدر: شرح الرباعي ٢٣)

ذلك بأنّ جميع الصور بحكم العمليّ ولا يمكن تحقيقها وإثباتها في غير ذات العالم. «بيدا کردن واحد به تکرار خویش اعداد را، مثالی است مر پیدا کردن حق، خلق

را به ظهور خویش در صور کونیّه.» (نفس المصدر: شرح الرباعي ٣٧ و ٣٨)  
إنّ العثور علي الواحد بتكرار الأعداد يشبه الوصول إلى الحقّ من الخلق حين يظهر بالصور الكونيّة.

ومن جملة خصائص النثر الفارسي في فترة ما قبل جامي، تقديم الأفعال والخبر وهذه الميزة تظهر بشكل ملحوظ في الرسالة:

«ومر او راست وجوب ذاتي و قدم و امثال آن از صفات کمال.» (نفس المصدر: شرح الرباعي ٧)

-وله الوجوب الذاتي والقدم وأمثاله من الصفات الكمالية.

«و اين ممتنع است مر غير حق را -سبحانه-.» (نفس المصدر: الرباعي ١١)

-وممتنع كلّ ما هو غير الحقّ سبحانه

«وممكن نيست تعيّن و ظهور آن دفعة بل بالتدرّيج.» (نفس المصدر: شرح الرباعي ١٢)

ومن غير الممكن تعيّن و ظهوره فجأة بل يحصل ذلك تدريجيّاً.

«وجودی نيست متميّز از وجود امور متعيّن مترتبه در ايشان.» (نفس المصدر:

شرح الرباعي ١٣)

و ليس هناك وجود مميّز من وجود الأمور المتعيّنة والمترتّبة فيه.

«نمود کثرت مانع نيابد شهود وحدت را و شهود وحدت مزاحم نگردد نمود کثرت

را.» (نفس المصدر: شرح الرباعي ٢٠)

ظاهر الكثرة لا يمنع من شهود الوحدة وشهود الوحدة لا يعرقل مظاهر الكثرة.

### حذف الفعل بالقرينة

إنَّ أحدَ الإشكالياتِ المكرَّرةِ في النثرِ الفارسيِّ في هذهِ الفترةِ، حذفُ الفعلِ دونِ قرينةِ (وهذا الأسلوبُ متداولٌ في النثرِ الفارسيِّ) ولكن في آثارِ جاميٍ قلَّما نشاهدُ حذفَ الفعلِ بدونِ أنْ تقابلها أَىُّ قرينةٍ وإذا ما كان هناك حذفٌ إنَّه يتمُّ علي الوجهِ الصحيحِ ولا يخلُّ لا ببناءِ النثرِ ولا بالمعنى بل يضيفُ إليه جمالا وإيجازا:

«خواه آن غير را وجود گویند وخواه موجد» (نفس المصدر: شرح الرباعي ٥)

الشاهد هنا حذف الفعل "گویند"

\_ سواء أطلقوا علي الغير الوجود أم الموجد.

«به حجاب عزت محتجب است وبه رداى كبريا مختفى.» (نفس المصدر: شرح

الرباعي ١١)

الشاهد هنا حذف الفعل "است"

\_ محتجب بحجاب العزّة ومحتف برداء الكبرياء.

«حكم ايمان و كفر راجع به اوست و تفاضل ميان ارباب معرفت به تفاوت مراتب

او.» (نفس المصدر: شرح الرباعي ١١)

الشاهد هنا حذف الفعل "است"

\_ حكم الإيمان والكفر يرجع إليه وتفاضل أصحاب المعرفة يعود إلى اختلاف مراتبه.

«خواه آن فاعل مختار باشد وخواه موجد.» (نفس المصدر: شرح الرباعي ١٧)

الشاهد هنا حذف الفعل "باشد"

\_ سواء كان فاعله مختارا أم موجبا.

«حق را \_ سبحانه و تعالى \_ ظاهر بيند و خلق را باطن.» (نفس المصدر: شرح

الرباعي ٢٠)

الشاهد هنا حذف الفعل "بيند"

\_ يري الحق سبحانه و تعالى في الظاهر والخلق في الباطن.

### استخدام "تيت" المصدرية

مثل نورانيت (النورانية)، وأكملت (الأكملية)، ومبدأيت (المبدأية)، وبرزخيت

(البرزخية)، ومعلومات (المعلومية)، ومجوليت ومرآتيت و....

### استعمال الألفاظ والتعابير العربية

الملاحظ في آثار جامي النثرية، استخدامه للألفاظ والتعابير العربية، فهي أكثر استعمالاً مقارنة بسائر الكتابات النثرية في هذه الفترة. وهذا الأمر يرجع إلى سببين: الأول، الموضوع الذي يتطرق إليه جامي ما يتطلب استخدام تعابير عربية، والسبب الآخر، يعود إلى سابقة تأثير النثر العربي في النثر الفارسي ابتداء من القرن السادس واستمراراً حتى عصر جامي والذي أخذ يتزايد شيئاً فشيئاً في هذه الفترات. وأكثر الألفاظ والتعابير العربية في الرسالة يتعلّق بالموضوع العرفاني ووحدة الوجود علي وجه التحديد، وبعض المصطلحات المتداولة في هذه الفترة بين العلماء والعرفاء مثل: فكيف، وفي نفس الأمر، وأخص، وأعم، وعلي الدوام، وممتنع الحصول، وتمييز ما عدا، وكلاهما محال، ومندمج، ومنمحي، واندماج، وثوب مصبوغ، وبين الظهورين، وفي نفس الأمر، ولا شك، وما به الامتياز، وكما لا يخفي، و....

### إيراد المترادفات

إنّ أحد الأسباب التي أدت إلى الإطناب والإكثار في الكلام، الإتيان بالكلمات المترادفة غير الضرورية ما أدّى ذلك إلى الإحساس بالملل، ولكن في نصوص جامي النثرية ولاسيّما الرسالة قلّما وردت الكلمات المترادفة، ما لا يمكن اعتبارها ميزة من ميزات أسلوبه في كتابة النصوص النثرية.

### تطبيق الصفة مع الموصوف

كان هذا الأسلوب رائجاً في نصوص عصر بيهقي وكذلك عصر جامي وما بعده. وقد انعكس هذا الأسلوب في كتابات جامي النثرية بشكل بارز، يمكن الإشارة إلى بعضها: صوفية موحّدة، معاني المصدرية، أكمل مراتب، فطرة سليمة، براهين العقلية، أمور متكرّرة، أرباب علوم عقلية، صوفية قائلين، شخصية جزوية، متوسّطة بينهما، صور علمية، أعيان ثابتة، حقيقتين مذكورتين، رحمت كاملة، رأفت شاملة، مرائي مكونات، حقيقت علمية، متعيّنة مرتّبة، محسوسات جزوية متعيّنة، حروف عاليات، تفاصيل

خصوصيات، لوازم ماهيات، مظاهر مقيدة، حيثيتين مذكورتين، تعيينات كلية، صور علمية و.... ما يعتبر خلافا لقياس قواعد اللغة الفارسية.

### الاستناد بالآيات القرآنية

- ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾ (النساء: ١١٣)  
(جامي، ١٣٩١ ش: شرح الرباعي الف)  
﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ (الغافر: ١٥)  
(نفس المصدر: شرح الرباعي ٧)  
﴿ولا يحيطون به علما﴾ (طه: ٢٩)  
(نفس المصدر: شرح الرباعي ٨)  
﴿ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد﴾ (آل عمران: ٢٩)  
(نفس المصدر: شرح الرباعي ١١)  
﴿ولله المثل الأعلى﴾ (النحل: ٦٠)  
(نفس المصدر: شرح الرباعي ٢٢)  
﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ (العنكبوت: ٦)  
(نفس المصدر: شرح الرباعي ٢٥)  
﴿أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا﴾ (مريم: ٦٧)  
(نفس المصدر: شرح الرباعي ٣٠)  
﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ (النحل: ٩٦)  
(نفس المصدر: شرح الرباعي ٣٠)  
﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦)  
(نفس المصدر: شرح الرباعي ٤١)  
﴿لا إله إلا الله﴾ (الصافات: ٣٥)  
(نفس المصدر: شرح الرباعي ٤٤)  
﴿كل يوم هو في شأن﴾ (الرحمن: ٢٩)

(نفس المصدر: شرح الرباعي ٤٤)

﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ (ق: ١٦)

(نفس المصدر: شرح الرباعي ٤٦)

## النتيجة

يعتبر شرح رباعيات جامي أحد أبرز النماذج في النثر التعليمي الصوفي وقد جعلت البساطة والقوة والانسجام والسلاسة في نثر الرسالة إحدى أفصح نماذج النثر العرفاني الفارسي. وأهميّة الشرح يبرز في أنّ موضوع وحدة الوجود الذي انعكس في آراء ابن عربي وابن الفارض والشارحين البارزين لهما كصدر الدين القونوي، داوود القيصرى، مؤيد الدين الجندی، والكاشاني جاءت بالعربية ما يجعل هذا الأثر يعتبر من أهمّ الشروح في وحدة الوجود. وحاول جامي في هذه الرسالة شرح بعض المصطلحات الصعبة في وحدة الوجود بلغة سهلة وصريحة وتعليمية. من بين هذه المصطلحات الصعبة: وجود واجب، التعین، الأعيان الثابتة، التجلّي، مراتب الوجود، الكلّي، علم الحقّ تعالى، عدم تعلّق العلم بذات الحقّ، المراتب الكلّية، ذو العين، ذوالعقل وهما في مرتبة لا تعین، الإيجاد، الكمال الذاتي، الكمال الصفاقي، حقائق الأشياء، القضاء والقدر، سرّ القدر، النور، نور وجود الحقّ، واحد، أحد، ..... (أنظر الأقسام المختلفة من نص الرسالة)

يحظي نصّ الرسالة بنثر جذاب وجمل متناسبة ما يجعل قراءتها سهلة وفهمها قريبة للأذهان حتى للمبتدئين ومن ليس له صلة بالتصوّف.

يمكن اعتبار عصر جامي أحد عصور إحياء العرفان النظري. وفي هذه الفترة أصبح العرفان مدرسة وقد دعم بلاط التيموريين الدروس التي كانت تلقي في تلك المدرسة. وقد خطي جامي خطوة إيجابية في سبيل اعتلاء مباني العرفان النظري بفضل علمه الواسع لاسيما وحدة الوجود بعد ما واجه وجوها من الكتابات السطحية في النثر تشوّهت ملاحظتها وضعف تأثيرها. وكان له دور المفسّر والشارح. وهناك آثار متعدّدة مثل شرح القصيدة التائيّة، شرح بيتين من المثنوى، شرح بيت لحسروه دهلوى، شرح مفاتيح الغيب، شرح فصوص الحكم، شرح الحديث، شرح الرباعيات. تمتاز شروح جامي بالدقّة والصراحة والسهولة في البيان وهي خصائص تفتقدها سائر الشروح في

عصره، بهذا المعنى أنّ سائر الشروح إمّا صعبة ومغلقة المعاني والمفاهيم ونادرة في نفس الوقت وإمّا سطحية تفتقد للقيمة النثرية بينما شروح جامي تخلو من هذه العيوب.

أثرت شروح جامي في سائر الشروح التي ظهرت بعده وساعدت في رفع الإبهام والإشكالات الموجودة في الشروح الغامضة والمصطلحات العرفانية الصعبة في وحدة الوجود. وهنا يمكن الإشارة إلى بعض الأساتذة الذين لجأوا إلى آثار جامي في شرح وحلّ غوامض عرفان النظرى كملاصدرا، ملا محسن فيضى الكاشاني، ملا عبد الرزاق اللاهيجي، ملا على نوري، آقا على مدرسي، ميرزا جلوة، حكيم السبزواري، آقا محمد رضا قمشه‌اي، وغيرهم من الأساتذة. (جامي، ١٣٨١ش: ٢٩)

امتازت الكتابات النثرية في آثار جامي من بينها رسالة شرح الرباعيات في وحدة الوجود بأهم خصائص النثر الفارسي القويم في فترة شهد النثر الفارسي انحطاطا وضعفاً في الأسلوب، وفي آثاره يواجه القارئ نثرا يتبع أسلوب الإيجاز يتحاشي الإطناب والإكثار الممل، ما هو كان رائجا في ذلك العصر.

ومن أبرز الأساليب المطلوبة والمستحسنة في النثر الفارسي القديم، استعمال أساليب نثرية تزيد العبارات جمالا مثل "مر.... را" وتقديم الأفعال التي كثيرا ما نشاهدها في نثر هذه الرسالة.

وفي الفترة التي قام أكثر الكتاب باستخدام أسلوب يتم فيه حذف الأفعال علي الطريقة الخاطئة ما كان يسبب ذلك ضعفا في بناء العبارة الفارسية، عكف جامي علي استخدام هذا الأسلوب بشكله المطلوب والصحيح ما أضفي لكتابه النثرية جمالا بسبب الإيجاز في سياق العبارات والصراحة في التعبير. وبطبيعة الحال فقد تأثر جامي بأجواء زمانه في استخدام "ثبت" المصدرية و"الألفاظ والتعابير العربية" التي غالباً ما تكون متناسبة ومنسجمة مع مضمون الرسالة، وأيضاً "استخدام المصطلحات العرفانية لوحدة الوجود". كما أنّ أحد المساوئ الرائجة في النثر الفارسي في هذه الفترة وهو تنابح المترادفات المتكررة والمملة، لا أثر لها في هذه الرسالة.

ومن جملة خصائص النثر في هذه الفترة عموماً وكتابات جامي النثرية خصوصاً، تطبيق الصفة مع الموصوف والاستناد بالآيات القرآنية المتناسبة مع المضامين العرفانية وهي أساليب استعملها جامي بأحسن شكل.

## المصادر والمراجع

- القرآن المجيد.
- أفصح زاد، أعلاخان. (١٣٧٨ش). نقد و بحث آثار جامي و شرح أحواله. طهران: مكتب نشر التراث المكتوب.
- بهار، محمد تقى. (١٣٦٩ش). علم الأساليب. طهران: أميركبير.
- جامي، عبدالرحمن. (١٣٨١ش). نقد التصوص في شرح نقش الفصوص. تصحيح ويليام جيتيك. طهران: مؤسسة الحكمة والفلسفة الإيرانية للأبحاث.
- \_\_\_\_\_ (١٣٨٩ش). ديوان. تصحيح محمد روشن. طهران: نگاه.
- \_\_\_\_\_ (١٣٨٩ش). مثنوى هفت أورانگ. تصحيح مرتضى مدرس الكيلاني. طهران: مهتاب.
- حكمت، علي أصغر. (١٣٨٦ش). جامي. طهران: توس.
- دادبه، أصغر. (١٣٨٨ش). "جامي". دائرة المعارف الإسلامية الكبيرة. ج ١٧. رقم المقالة ٦٣٨٧.
- داوودي پور، غلامرضا. (١٣٩١ش). «تصحيح شرح رباعيات جامي في وحدة الوجود». رسالة دكتوراه. بإشراف الأستاذ الدكتور أصغر دادبه. جامعة آزاد الإسلامية، فرع نجف آباد.
- شمسيا، سيروس. (١٣٧٦ش). علم الأساليب النثرية. طهران: ميتر.
- صفا، ذبيح الله. (١٣٦٨ش). تاريخ ادبيات در ايران. ج ٤. طهران: دار نشر فردوسي.
- \_\_\_\_\_ (١٣٦٣ش). گنجينه سخن. ستة مجلدات. طهران: جامعة طهران.
- صفي، فخرالدين علي كاشفي. (١٣٥٦ش). رشحات عين الحيات. مجهد على أصغر معينيان. طهران: مؤسسة نورياني.
- مايل هروي، نجيب. (١٣٧٧ش). جامي. طهران: طرح نو.
- نظامي باخرزي، عبدالواسع. (١٣٧١ش). مقامات جامي. تصحيح نجيب مايل هروي. طهران: دار نشر ني.